أصول في التفسير

المحاضرة الرابعة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، حياكم الله مشاهدي الكرام في هذا المجلس الجديد من مجالس شرح أصولٍ في التفسير، لشيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين -عليه من الله الرحمة-.

وقد تقدم أن تحدثنا في الدرس الماضي عن موضوع أسباب النزول، وختمنا الكلام بقاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

واليوم -بإذن الله- نتحدث حسب ترتيب الكتاب عن موضوعٍ مهمٍ جدًّا، من موضوعات علوم القرآن، وهو موضوع المكي والمدني، وهذا الموضوع -كما لا يخفى- من الموضوعات اللصيقة جدًّا بعلوم القرآن، بل هو من الموضوعات التي تفردت بها كتب علوم القرآن، بحيث لم تشترك فيها بقية العلوم؛ لأننا ذكرنا فيما تقدم أن بعض المباحث توجد في علوم القرآن، وتوجد في مصطلح الحديث، أو في أصول الفقه، أو بعض العلوم الأخرى، أما بعض الموضوعات من علوم القرآن، فهي في علوم القرآن وحدها دونما غيرها من كتب العلم.

{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد، فاللهم اغفر لنا، ولشيخنا، وللحاضرين، والمشاهدين، وجميع المسلمين.

قال المؤلف -رحمنا الله وإياه: المكي والمدني، نزل القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم- مفرقًا في خلال ثلاثٍ وعشرين سنة، قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثرها بمكة، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ولذلك قسم العلماء -رحمهم الله تعالى- القرآن إلى قسمين: مكيٌّ ومدنيٌّ، فالمكي ما نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل هجرته إلى المدينة، والمدني ما نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هجرته إلى المدينة، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، من القسم المدني، وإن كانت قد نزلت على النبي -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع بعرفة، ففي صحيح البخاري عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، نزلت وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة}.

تحدث المؤلف -رحمه الله تعالى- عن هذا الموضوع، وابتدأ بقوله: المكي والمدني، المكي والمدني هو مبحثٌ خاصٌ بعلوم القرآن، يتحدث فيه عن أمرٍ متصلٍ بالفرق بين ما نزل في أول الإسلام، وما نزل في آخر عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- بأي اعتبارٍ يكون هذا التفريق، هل هو باعتبار المكان؟ فما نزل بمكة يسمى مكيًّا، وما نزل بالمدينة يسمى مدنيًّا؟ وهذا قولٌ لجماعةٍ من أهل العلم، ولكن هذا القول يكون مضطربًا، أو غير مستوعِبٍ؛ لأن هناك آيات نزلت في غير مكة والمدينة، فماذا

نسميها؟ مثلًا آيات نزلت في تبوك، نزلت في الجحفة، نزلت في الطائف، ماذا تسمى هذه الآيات؟ معنى ذلك سيكون عندنا مكيٌّ، وطائفيٌّ، وتبوكيٌّ، وجحفيٌّ إلى آخره، إذن هذا القول منطرحٌ.

هناك قولٌ آخر أنه باعتبار أسلوب الخطاب، أو ما فيه من نداءٍ، فإن كان المخاطبون هم المشركين، فإن هذا يعتبر مكيًّا، وإن كان المخاطبون هم المسلمين، فإنه يعتبر مدنيًّا، فإذا كان الخطاب "يا أيها الناس" أو "يا بني آدم" فإنها مكيةٌ، وإذا كان الخطاب "يا أيها الذين آمنوا" فإنها مدنيةٌ.

ولكن هذا أيضًا مشكلةٌ؛ لأنه قد تجد سورًا ليس فيها "يا أيها الذين آمنوا" ولا "يا أيها الناس" ولا "يا بني آدم" ولا شيءٌ من هذا القبيل، وأيضًا قد تجد سورًا مدنيةً وفيها "يا أيها الناس" كسورة النساء مثلًا، افتتحت بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، وتجد مثلًا سورةً مدنيةً فيها "يا أيها الذين آمنوا" كسورة الحج، وهي سورة مدنية، ومع ذلك فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فهذا القول لا يستقيم.

إذن القول الذي عمل عليه العلماء -رحمهم الله تعالى- واستقر عليه الأمر، هو ما ذكره شيخنا -رحمه الله- في قوله: ولذلك قسم العلماء -رحمهم الله تعالى- القرآن إلى قسمين: مكيٍّ ومدنيٍّ، فالمكي ما نزل على النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل هجرته إلى المدينة، والمدني ما نزل على النبي -صلى الله عليه

وسلم- بعد هجرته إلى المدينة، وبهذا نعرف شيئًا غريبًا، وهو أن هذين الاسمين لشيئين زمانيين وليسا مكانيين، أن هذين الاسمين اسمان مكانيان، يقال: مكيٌّ، ومدنيٌّ، فالنسبة فيها إلى المكان، لكن الحقيقة أن الأمر يتعلق بالزمان وليس بالمكان، يتعلق بما قبل الهجرة وما بعد الهجرة، وقبل الهجرة وبعد الهجرة هذا زمانٌ، ومع ذلك اصطلح العلماء -رحمهم الله تعالى- من باب التيسير والتسهيل والتبسيط للمعلومة، وإلا فالاسم مكانيٌّ، والمحتوى زمانيٌّ، ولذلك الصحيح الذي عليه أهل العلم عامةً جرت عليه المصاحف، وسار عليه الناس في كتب التفسير، إذا قالوا: مكيٌّ أو مدنيٌّ، إنما يريدون بذلك ما قبل الهجرة وما بعدها، فما كان قبل الهجرة فهو مكيٌّ، وما كان بعدها فهو مدنيٌّ، وهذا التقسيم حاصرٌ، بمعنى أنه لا يُخرج آيةً من القرآن إلا وهي إما قبل الهجرة أو بعد الهجرة، ولذلك شيخنا -رحمه الله تعالى- من حكمته أنه جاء بمثالٍ يتضح به أهمية هذا التقسيم وضرورته في معرفة ما هو مكيٌّ، وما هو مدنيٌّ، فقالوا: على هذا فقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] من القسم المدني، مع علمنا أن هذه الآية إنما نزلت في عرفة بمكة، في حجة الوداع، كذلك قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، فهذه نزلت في فتح مكة، عندما أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- مفاتيح الكعبة من الشيبيين، ثم أمره الله -عزَّ وجلَّ- أن يردها إليهم، فردها إليهم، وقال: «هي باقيةٌ معكم إلى يوم القيامة»، فبقيت معهم إلى اليوم، لكن هذا كان في فتح

مكة، ومع ذلك هذه الآية من سورة النساء هي آيةٌ مدنيةٌ؛ لأنه ينطبق عليها هذا الضابط، وهي أنها نزلت بعد الهجرة، وإن كانت نزلت بمكة.

وبذلك قال شيخنا -رحمه الله: ففي صحيح البخاري عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي -صلى الله عليه وسلم-، نزلت وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة، إذن هذه بلا شك نزلت في مكة، لكنها آيةٌ مدنيةٌ.

هذا المبحث -أحبتي الكرام- مبحثٌ يتكلم فيه العلماء عن ليس المكي والمدني فقط، بل هذا الباب يعتبر من أكثر أبواب علوم القرآن أنواعًا، حتى عدوا فيه قريبًا من أربعةٍ وعشرين نوعًا، فمثلًا يقولون: المكي والمدني، من أنواعه المكي والمدني، والمختلف فيه، ما نزل بمكة، ما نزل بالمدينة، ما اختلف فيه، ويبحثون في هذا الموضوع، أو في هذا النوع من علوم القرآن، ترتيب ما نزل بمكة والمدينة، يعني السور المكية ما ترتيبها؟ ما أول سورةٍ، وثاني سورةٍ، وثالث سورةٍ، ورابع سورةٍ، في المدينة، ما أول سورةٍ، ثاني سورةٍ، ثالث سورةٍ، رابع سورةٍ، وأيضًا ما نزل بمكة وحكمه مدنيٌّ، ما نزل بالمدينة وحكمه مكيٌّ، وأيضًا ما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلًا، وما نزل نهارًا، وما نزل صيفًا، وما نزل شتاءً، وما نزل سفرًا، وما نزل حضرًا، وما نزل مشيعًا، ما معنى مشيعًا؟ يعني قد شيعته الملائكة كسورة الأنعام فيما اشتهر عند المفسرين -رحمهم الله-، وما

نزل مفردًا، والآيات المدنية في السور المكية، تجد سورةً مكيةً وفيها آيةٌ أو آيتان مدنيةٌ، والعكس أيضًا، والآيات المكية في السور المدنية، وما حُمل من مكة إلى المدينة، وما حُمل من المدينة إلى مكة، كل هذه الأنواع مذكورةٌ في هذا الباب، تجدها دائمًا في هذا النوع الكبير من أنواع علوم القرآن.

قد يقول قائلٌ: ماذا نستفيد منها؟ ولماذا تذكرونها؟ ولماذا أيضًا تكبرون الكتب بها؟

لنقول لك: إن هذا الكتاب، العلماء حفُّوه بعنايةٍ ورعايةٍ عظيمةٍ جدًّا، حتى إنهم ما تركوا فيه شيئًا إلا ذكروه لنا، فهل تتوقع بعد هذا، هذا الضبط وهذا الإتقان أنه نُسيت منه آيةٌ؟ أو ذهب منه شيءٌ؟ أو نقص منه شيءٌ؟ إذا كانوا يتحدثون هذه الآية نزلت فوق جبلٍ، وهذه في سهلٍ، وهذه في وادٍ، وهذه في الصيف، وهذه في الشتاء، وهذه في السفر، وهذه في الحضر، وهذه نزلت بمكة وحُملت إلى المدينة، وهذه نزلت بالمدينة وحُملت إلى مكة، هل تتوقع أن هذا الكتاب الذي حصلت له هذه العناية والرعاية أن يكون نُسي منه شيءٌ؟ أو حصل فيه شيءٌ من التحريف أو التبديل أو النقص أو الزيادة؟ لا يمكن، إذا كانت هذه المسائل التي ليست بذات أهميةٍ في محتوى القرآن، ولكن العلماء اهتموا بها وحفظوها، وهي قضايا تاريخيةٌ متصلةٌ بالنص القرآني، فإنه لا يمكن أن يتطرق إليك شكٌّ في أن القرآن قد حُفظ من أي عبثٍ، ومن أي نقصٍ، وزيادةٍ، أو تأليفٍ، أو تبديلٍ، أو غير ذلك، ولذلك نحن نقول: اسمعوا ماذا قال عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- حتى تطمئنوا، يقول عليٌّ: والله ما نزلت آيةٌ إلا وقد

علمتُ فيم أنزلت، وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا سئولًا، ويقسم عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه- على ذلك، أما ابن مسعود فماذا يقول؟ يقول: والله الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت، ولا أُنزلت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أُنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، لاحظ إذا كان ابن مسعود يدلي بهذه المعلومة، ويحلف عليها، وهو أن كل آيةٍ موجودةٌ عنده فهو يعلم أين نزلت، وفيم نزلت، وأي سورةٍ كذلك، فماذا نتوقع؟ ولذلك العلماء -رحمهم الله- من عنايتهم بالمكي والمدني أفردوه بالتأليف، فمكي بن أبي طالب له كتاب في هذا الباب، وأيضًا العز التميمي، له أيضًا كتاب في هذا الباب.

{قال -رحمه الله: ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع، أما من حيث الأسلوب فهو الغالب في المكي قوة الأسلوب، وشدة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين مُعرضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك، اقرأ سورتي المدثر والقمر، أما المدني فالغالب في أسلوبه اللين وسهولة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون، اقرأ سورة المائدة.

ثانيًا: الغالب في المكي قصر الآيات، وقوة المحاجة؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم، اقرأ سورة الطور.

أما المدني فالغالب فيه طول الآيات، وذكر الأحكام مرسلةً بدون محاجةٍ؛ لأن حالهم تقتضي ذلك، اقرأ آية الديْن في سورة البقرة.

وأما من حيث الموضوع، فهو أولًا: الغالب في المكي تقرير التَّوحيد والعقيدة السليمة، خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية، والإيمان بالبعث؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

أما المدني فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات؛ لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التَّوحيد والعقيدة السليمة، فهم في حاجةٍ إلى تفصيل العبادات والمعاملات.

ثانيًا: الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه، والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني؛ لاقتضاء الحال ذلك، حيث شُرِع الجهاد، وظهر النفاق، بخلاف القسم المكي.

فوائد معرفة المكي والمدني}.

بعدما تحدث الشيخ عن الفرق بين المكي والمدني، ومثَّل لذلك -رحمه الله-، تحدث عما يتميز به المكي عن المدني، وهذا من أهم الأشياء التي نحن نستفيدها من معرفتنا لهذا الموضوع، وهو: أن القرآن مكيه ومدنيه ليسا على حالٍ واحدةٍ من حيث الأسلوب، وطريقة الخطاب، ولا من حيث المضمون، فالمضمون مختلفٌ، وهذا يجعلنا نفكر، لماذا فرَّق القرآن بين ما ينزل في مكة، وما ينزل في المدينة، أو ما ينزل قبل الهجرة، وما ينزل بعد الهجرة، هذا يجعلنا نهتم بدعوتنا للناس، وأننا يجب علينا أن نراعي الزمان والمكان الذي نعيش فيه، فالخطاب الذي تقوله لأناسٍ مشركين مكذبين، ليس كالخطاب الذي تقوله لأناسٍ مؤمنين، والقضايا التي تطرحها لأناسٍ مكذبين كافرين، أو جهَّالٍ لا يعلمون من الدين شيئًا، ليست كالقضايا التي تطرحها لأناسٍ قد استقر الإيمان في قلوبهم، فهذا

يجعلنا ننتبه، وهذا ما سيتحدث عنه الشيخ -رحمه الله- في فوائد معرفة المكي والمدني.

لكن قبل ذلك نحن نريد قبل أن نمر على كلام الشيخ -رحمه الله- هل تُعرف السور المكية والسور المدنية؟

فنقول: العلماء -رحمهم الله- ذكروا ذلك، وبينوه، فذكروا أن السور المدنية المتفق على أنها مدنيةٌ، عشرون سورةً، ذكر هذا السيوطي عن ابن الحصار، ما هي هذه السور؟ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وهذه من السبع الطوال، ثم الأنفال والتوبة، ثم يتوقف المدني بعد ذلك إلى أن تصل إلى سورة النور، يعني قريب من عشر أجزاء تقريبًا، والباقي هذا كله مكيٌّ، ثم يتوقف مرةً أخرى إلى سورة الأحزاب، ثم يتوقف مرةً ثالثةً أو رابعة إلى سورة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ثم الفتح، ثم الحجرات، ثم نعود مرةً أخرى يتوقف إلى سورة الحديد، ثم يبدأ بعد ذلك، الحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، أما الصف فسيأتينا بعد قليلٍ أنها من السور المختلف فيها، وإن كان الأرجح أنها مدنيةٌ، ثم الجمعة، والمنافقون، التغابن أيضًا اختلف فيها، ثم الطلاق والتحريم، ثم تتوقف السور المدنية من بعد سورة التحريم إلى سورة النصر، وبهذا يصبح عدد السور المدنية عشرون سورة متفقًا عليها، يعني لم يحصل فيها خلافٌ، وإن كان فيها هناك خلافٌ فهو لا يُذكر.

حصرنا الآن السور المدنية، نأتي بعد ذلك إلى السور المختلف فيها، وهي: ثنتا عشرة سورة، ما هي السور المختلف فيها؟

الفاتحة اختلف فيها، والراجح -والله أعلم- أنها مكيةٌ، الرعد اختلف فيها، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، الناس.

هذه السور الاثنتا عشر اختلف فيها هل هي مكيةٌ أو مدنيةٌ، فبعضها يرجَّح أنها مكيةٌ، وبعضها يرجح أنها مدنيةٌ، وبعضها يبقى الخلاف فيها قويًّا، مثلًا سورة المطففين، في أسباب النزول المذكورة في السورة، أنها نزلت في أهل المدينة، عندما جاءهم النبي -صلى الله عليه وسلم- وجدهم من أخبث الناس كيلًا، فأنزل الله: ﴿وَيلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١- ٣]، فصاروا بعد ذلك أحسن الناس كيلًا، فالظاهر من أول السورة أنها نزلت في أهل المدينة، لكن من يتتبع السورة كلها، يجد أن خطابها هو خطاب السور المكية، وأن موضوعها ومضمونها وما تتحدث عنه، هو مضمون السور المكية، ولذلك الخلاف فيها قوي جدًّا، هل هي مكيةٌ أو مدنيةٌ.

ما تبقى، بقي عندنا اثنان وثمانون سورةً، هذه كلها مكيةٌ، نحن جئنا وعددنا القليل؛ حتى يتبقى الكثير، فقلنا: عشرون متفقٌ على أنها مدنيةٌ، واثنا عشر اختلف فيها، هل هي مكية أو مدنية، صار المجموع اثنين وثلاثين، المتبقي، وهو اثنان وثمانون كلها سورٌ مكيةٌ.

ما طريق معرفة هذه السور؟

نقول: طريق معرفة هذه السور هل مكيةٌ أو مدنيةٌ، شيئان: إما سماعي، وهو الأقوى، فترد نصوصٌ عن الصحابة أو عن التابعين -رحمهم الله- الذين نقلوا عن الصحابة أن هذه السورة نزلت في مكة، أو هذه السورة نزلت في المدينة، أو هذه السورة نزلت قبل الهجرة، أو هذه السورة نزلت بعد الهجرة، فيُعرف من طريق السماع والرواية أن هذه السور مكيةٌ أو مدنيةٌ، وهذا لاشك هو أقوى الطرق في معرفة المكي والمدني.

الطريق الثاني: الاجتهاد، فأحيانًا قد لا يتبين لنا، أو لا نجد دليلًا قاطعًا أو روايةً صحيحةً في هذه الآيات، هل هي مكيةٌ أو مدنيةٌ، فنحن نجتهد في معرفة ذلك من خلال المضامين والمحتويات، التي سبرناها من خلال القرآن المكي والقرآن المدني، فنقول: هذه الآيات يظهر والله أعلم أنها مدنيةٌ، لماذا؟ لأن الموضوع الذي تتحدث فيه يتصل باليهود، واليهود ما جاء أمرهم إلا بالمدينة، أو بالمنافقين، والمنافقون ما ظهر أمرهم إلى في المدينة، أو بالنصارى، والنصارى ما حصل بين المسلمين وبينهم حوارٌ وجدالٌ إلا في المدينة مثلًا، فنصل إلى ذلك عبر الاجتهاد.

بعد هذا، الشيخ -رحمه الله- تحدث عن التمييز بين المكي والمدني، فقال: إن التمييز بين المكي والمدني من جهتين: الجهة الأولى: جهة الأسلوب، والجهة الثانية: جهة الموضوع.

من جهة الأسلوب، قال الشيخ -رحمه الله: أما من حيث الأسلوب فالغالب في المكي قوة الأسلوب، تجد أن الأسلوب فيه قوةٌ؛ لأنه يجادل قومًا منكرين

ومجادلين، وجاحدين، ينكرون الحقائق، ويكذبون بالدلائل والحجج والبراهين الظاهرة البينة، التي لا يجادل في مثلها إلا إنسانٌ معاندٌ.

قال: لأن غالب المخاطبين معرضون مستكبرون، ولا يليق بهم إلا ذلك، اقرأ سورتي المدثر والقمر، ماذا قال الله في سورة القمر؟ قال: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ * كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٣٠-٤٢]، لاحظ قوة الأسلوب، قويٌّ جدًّا في المحاجة، ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: ١١- ١٦]، لاحظتم كيف الأسلوب؟ وكذلك إذا قرأت سورة القمر، تجد أن الأسلوب فيه قوةٌ؛ لأنه يحاج قومًا كذبوا بحقائق ظاهرةٍ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، إلى آخر الآيات التي وردت، عندما تقرأ السورة تهتز معها، وتتفاعل مع قوة أسلوبها.

ثم قال: أما المدني فالغالب في أسلوبه اللين وسهولة الخطاب؛ لأن غالب المخاطبين مقبلون منقادون، اقرأ سورة المائدة، اقرأ سورة البقرة، عندما تقرأ مثلًا قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، تجد أن الأسلوب مختلفٌ عن الأسلوب الذي قبل قليلٍ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾، إلى آخره.

ثم يقول: الغالب في المكي قصر الآيات، طبعًا الشيخ -رحمه الله- دائمًا يقول: الغالب؛ لأن مثل هذه الأشياء ليست قطعيةً، وليست مضطردةً، وإنما أغلبيةٌ، ودائمًا يا إخواني خذوها قاعدةً، الأشياء الاستقرائية دائمًا تكون أغلبيةً، لا تكون كليةً، بخلاف الأشياء العقلية، لابد أن تكون كليةً، ولما أقول: الكل أكبر من الجزء، هذه قضيةٌ عقليةٌ، ما يمكن أن يكون الجزء أكبر من الكل، الكل في أي شيءٍ أكبر من الجزء في ذلك الشيء، هذه قضيةٌ عقليةٌ، ولذلك لا تنخرم، أما القضايا الاستقرائية التي تعتمد على الاستقراء، فإنك تجد فيها ما ينخرم، ولكن هذا الانخرام لا يضر القاعدة التي وضعت في هذا الباب؛ لأن المقصود هو إعطاء حكمٍ أغلبيٍّ على هذه الجزئيات الكثيرة، حتى تنضبط في قاعدةٍ يملكها طالب العلم، ويستفيد بها، أو يستنير بها في علمه أو في حياته، أو نحو ذلك.

ولذلك قال الشيخ: الغالب في المكي قصر الآيات وقوة المحاجة، هل تذكرون سورة مكيةً قصيرة الآيات؟

هذا هو الأكثر، ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ [الذاريات: ١- ٣] ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ١، ٢]، كلها آياتٌ قصيرةٌ.

هل تذكرون آياتٍ مكيةً طويلةً؟

سورة الأنعام لو نظرت مثلًا آياتها، تجد أن آياتها في الغالب طويلةٌ، ليست قصيرةً من سطرين وثلاثةٍ وأربعةٍ، وأحيانًا خمسة أسطرٍ، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] الآية، والآية التي بعدها، والتي بعدها، تجد أنها آياتٌ طويلةٌ، ومع ذلك هي مكيةٌ، مما يدل على أن هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ أغلبيةٌ وليست كليةً كاملةً بمعنى لا ينخرم منها شيءٌ، ولذلك قال الشيخ في عبارةٍ متقنةٍ: قال: الغالب في المكي قصر الآيات وقوة المحاجة؛ لأن غالب المخاطبين معاندون مشاقون، فخوطبوا بما تقتضيه حالهم، فالرسائل القصيرة، والعبارات المقتضبة أبلغ في إيصال الحجة، وفي إثارة النفوس، وفي إيقاظ الغافلين من الآيات الطويلة، التي تحتمل فيها كثيرٌ من البسط والإيضاح.

اقرأ سورة الطور ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ١- ٧] إلى آخر الآيات، ولذلك جبير بن مطعم لما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها، قال: كاد عقلي أن يطير، لما قرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ

الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٤٣]، قال: كاد عقلي أن يطير من شدة وقع الآيات عليه.

قال: أما المدني فالغالب فيه طول الآيات، تجد الآيات طويلةً، اقرأ سورة البقرة، اقرأ سورة آل عمران، اقرأ سورة النساء، اقرأ سورة المائدة.

قال: وذكر الأحكام مرسلةً بدون محاجةٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، النفوس آمنت واطمأنت واستقرت، ما عندهم خصومةٌ، ولا عندهم محاجةٌ، ولذلك يقال لها: نفذوا، هذه أوامر، هذه مجموعةٌ من الأحكام، هذه مجموعةٌ من المطلوبات، من المنهيات.

إذن فيه فرقٌ واضحٌ جدًّا بين الأسلوب في القرآن المكي، والأسلوب في القرآن المدني.

من حيث الموضوع، أي من حيث المضمون والمحتوى، يقول الشيخ: فهو الغالب في المكي تقرير التَّوحيد والعقيدة السليمة، خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية، والإيمان بالبعث؛ لأن غالب المخاطبين ينكرون ذلك.

إذا تأملت في القرآن المكي تجد أن مداره تقريبًا على ثلاثة أو أربعة أشياء:

١- تقرير التَّوحيد.

٢- تقرير البعث والإيمان باليوم الآخر.

٣- ذكر الأدلة على أن هذا القرآن من عند الله -عزَّ وجلَّ.

٤- ذكر الأدلة على أن هذا الرسول رسولٌ من عند الله -عزَّ وجلَّ.

تجد الرسول، والرسالة، واليوم الآخر، والإيمان بالله -عزَّ وجلَّ- هي غالب قضايا القرآن المكي، فهي في تأسيس الاعتقاد، ولذلك نقول لك يا داعية، عندما تذهب إلى قومٍ، لا ينبغي لك أن تبادر إلى ذكر الأحكام، أول ما تبدأ به أَسِّس العقائد، دعهم يؤمنون بالله يخشونه حق خشيته، يعرفونه حق معرفته، يعلمون معاني أسمائه، يؤمنون به حق الإيمان، يخافون من الدار الآخرة، يطمعون في الجنة، يخافون من النار، يخافون من السؤال، يخافون من البعث، من الجزاء، فإذا امتلأت قلوبهم بهذا، سيقولون لك: يا فلان كيف نصلي؟ كيف نصوم؟ هل يحل لنا أن نشرب هذا؟ هل يحل لنا أن نأكل هذا؟ هل يحل لنا أن نعمل هذا؟ هم سيسألونك، ولذلك أنا أستغرب من بعض الطلاب -هداهم الله- من حين أن يتخرج من الجامعة ويرجع إلى قومه، وقومه فيهم جهلٌ كبيرٌ، وبعدٌ عن العلم، وعندهم كثيرٌ من البدع، يبدأ يشتغل في ذكر الأحكام، يجب عليكم أن تفعلوا كذا، يجب عليكم أن تفعلوا كذا، وكان الأجدر به أن يبدأ أول ما يبدأ بتقرير التَّوحيد، والنهي عن الشرك، الحرص على تأصيل الإيمان، وتثبيته في النفوس، فإذا رسخ الإيمان في القلوب، واستقر الاعتقاد واليقين، فإن الناس هم من سيشغلك ويسألك، وهذا نستفيده كما سيأتي بعد قليلٍ من مبحث المكي والمدني.

يقول الشيخ: أما المدني فالغالب فيه تفصيل العبادات والمعاملات، وبالفعل لما تقرأ في سورة البقرة تجد أنها كلية الشريعة، سورة البقرة فيها الصلاة، والزكاة، والصدقة طبعًا تابعةٌ للزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، وفيها المعاملات، البيوع وما

يتصل بها، وفيها الزواج وأحكام الأسرة، وتأتي لسورة النساء تجد فيها المواريث، والعناية بالأيتام، والمحرمات من النساء ونحو ذلك.

قال الشيخ: لأن المخاطبين قد تقرر في نفوسهم التَّوحيد، والعقيدة السليمة، فهم في حاجةٍ إلى تفصيل العبادات والمعاملات.

أيضًا مما يتميز به المدني: الإفاضة في ذكر الجهاد وأحكامه، والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني؛ لاقتضاء الحال، لأن المجتمع الذي يعيشه النبي –صلى الله عليه وسلم– في المدينة مجتمعٌ يحتاج إلى هذه الأحكام، الجهاد، المنافقون، يعني أين نجد ذكر المنافقين؟ في سورة الأنفال، في سورة التوبة، في سورة الأحزاب، في سورة النور، في سورة المنافقون، وفي سورة البقرة، في أولها.

قال: وظهر النفاق متى؟ في المدينة، ولم يظهر في مكة؛ لأن مكة كانت دولة شركٍ، فليس بالناس حاجةٌ لأن ينافقوا، يبقى مؤمنًا بما تؤمن به الدولة، أو عامة الناس الموجودين في مكة.

هناك مسألةٌ أخرى، وهي: هل هناك ضوابط لفظيةٌ لمعرفة المكي والمدني؟

العلماء أيضًا اجتهدوا في هذا الباب، وذكروا أشياءً طريفةً جدًّا، فقالوا: كل سورة فيها "كلا" فهي مكيةٌ، وعدد "كلا" في القرآن ثلاثة وثلاثين، وكلها من بعد سورة الكهف إلى آخر القرآن، يعني في خمس عشرة سورةٍ جاءت "كلا" كل سورةٍ فيها "كلا" فهي مكيةٌ، مثل ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ [المدثر: ٣٢] هذه في المدثر، إذن مكية، ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩] في سورة مريم، وهذه سورة مكية، عرفناها من "كلا"، والفجر ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ

﴿الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] في سورة العلق، هذه كلها سور مكيةٌ.

أيضًا يقولون: كل سورةٍ فيها سجدةٌ فهي مكيةٌ، ما هي السور التي فيها سجدةٌ؟

الأعراف، ثم الرعد، ثم النحل، ثم الإسراء هذا في نصف القرآن الأول، نبدأ في نصف القرآن الثاني، مريم، الحج فيها سجدتان، بعدها الفرقان، النمل، السجدة، فصلت، وقبل فصلت فيه ص لكن سجدةٌ مختلفٌ فيها، النجم، الانشقاق، اقرأ، كل هذه السور مكيةٌ، اختلف في الرعد فقط، هل هي مكيةٌ أو مدنيةٌ، حتى ص التي فيها سجدةٌ مختلفٌ فيها هي سورةٌ مكيةٌ.

إذن من علامات معرفة المكي لفظيًا متى جاءتك سجدةٌ فاعلم أنها سورةٌ مكيةٌ، أيضًا كل سورةٍ مبدوءة بقسَمٍ فهي مكيةٌ، والسور المبدوءة بالقسم خمس عشرة سورةً، خذوها: الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، القمر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر، كلها سورٌ مكيةٌ، فهذه من الضوابط اللفظية للقرآن المكي.

أيضًا كل سورةٍ مفتتحةٌ بحروف التهجي "ألم، ق، ص، ن" كلها سورٌ مكيةٌ، عدا سورتين، وهما البقرة وآل عمران، وفي الرعد خلافٌ، وهي مما افتتح بحروف التهجي.

كم عدد السور التي افتتحت بحروف التهجي؟

ثمانية وعشرين سورةً، على عدد حروف العربية.

أيضًا كل سورةٍ فيها "يا أيها الناس" وليس فيها "يا أيها الذين آمنوا"، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] في سورة الأعراف، وليس فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مكيةٌ، لكن لو فيها "يا أيها الناس" وفيها: "يا أيها الذين آمنوا" فلا يلزمك، مثل سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وسورة النساء افتتحت بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، وفيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] إلى آخره.

إذن هذه يا إخواني ضوابط لفظيةٌ لمعرفة المكي والمدني.

هل في السور المدنية ضوابط أيضًا؟

نقول: نعم، كل سورةٍ فيها "يا أيها الذين آمنوا" وليس فيها "يا أيها الناس" فهي مدنيةٌ، لكن لو فيها "يا أيها الذين آمنوا" وفيها "يا أيها الناس" يحتمل أن تكون مدنيةً، ويحتمل أن تكون مكيةً.

كل سورةٍ فيها ذكر المنافقين، فهي مدنيةٌ، كالبقرة، والنساء، والتوبة، والأنفال، والنور، والأحزاب، والمنافقون، والفتح، ومحمد، والتحريم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣].

كل سورةٍ فيها حدٌّ فإنها مدنيةٌ، وهلم جرا.

بعد هذا -أحبتي الكرام- نأتي إلى ما ذكره الشيخ -رحمه الله تعالى- في فوائد معرفة المكي والمدني.

{قال -رحمه الله: فوائد معرفة المدني والمكي.

معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة، وذلك لأن فيها فوائد منها:

١- ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كل قومٍ بما تقتضيه حالهم، من قوةٍ وشدةٍ، أو لينٍ وسهولةٍ.

٢- ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته، حيث يتدرج شيئًا فشيئًا بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين، واستعدادهم للقبول والتنفيذ.

٣- تربية الدعاة إلى الله -تعالى- وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع، من حيث المخاطبين، بحيث يبدأ بالأهم فالمهم، وتستعمل الشدة في موضعها، والسهولة في موضعها.

٤- تمييز الناسخ من المنسوخ، فيما لو وردت آيتان مكيةٌ ومدنيةٌ، يتحقق فيهما شروط النسخ، فإن المدنية ناسخةٌ للمكية؛ لتأخر المدنية عنها}.

بعد ذلك تحدث الشيخ عن أمرٍ مهمٍ جدًّا، وهو: ماذا نستفيد من معرفة هذا الباب؟

فذكر الشيخ -رحمه الله- أربع فوائد، وإن كانت الفوائد أكثر من ذلك، لكن هذه التي ذكرها الشيخ هي أهم ما في الباب، فقال: أولًا: ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، فإن البلاغة ما هي؟

{الفصاحة}.

لا، الفصاحة هي مكونات الحروف أو الكلمة، لكن البلاغة.

{مطابقة الكلام للواقع}.

نعم، مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فما تأتي إلى أناسٍ في عزاءٍ، وتحدثهم عن أحكام الزواج، ولا تأتي إلى أناس في زواجٍ، وتحدثهم عن الموت، وتخوفهم من القبر وعذابه، هذا لا يعتبر من البلاغة، ولو كنت أفصح الناس، وأحسنهم حديثًا؛ لأنه لا يتطابق هذا الكلام مع الحال التي هم فيها، ولذلك يقول: ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها، حيث يخاطب كل قومٍ بما تقتضيه حالهم، من قوةٍ وشدةٍ، أو لينٍ وسهولةٍ.

الثاني: ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته، لأن نعرف كيف التشريع تدرج بالناس حتى وصل بهم إلى ما وصل، ففي أول الأمر لم يحرم عليهم الخمر، وإنما قال: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، ذكر السُّكْر أنه مقابل الرزق الحسن ،ولم يقل إنه حرامٌ ولا شيء من ذلك، فيفهم العاقل أنه شيء ليس حسنًا، ثم تدرجت الآيات إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه من تحريم الخمر.

الثالث: تربية الدعاة إلى الله، أنا وأنت، وكل طالب علمٍ، وكل مسلمٍ ينبغي أن يكون داعيةً إلى الله، فيتربى على هذه الطريقة الموجودة في القرآن، في كونه يتدرج في الناس، ويغير في الأسلوب، بحسب من يخاطبهم، إذا جئت إلى أناسٍ عوامٍ، تذكر لهم أشياء تتناسب مع أفهامهم، إذا جئت إلى طلبة علمٍ، أو مثقفين، أو أطباء، أو عقلاء، أو فلاسفة، يجب أن ترقى بأسلوبك وطريقة حديثك إلى ما يناسبهم.

أيضًا تمييز الناسخ من المنسوخ، وهذه من الحكم العظيمة في معرفة المكي والمدني، فإن معرفة المكي والمدني تعيننا في معرفة ما هو الناسخ، وما هو المنسوخ، فإذا نزلت آيةٌ وقيل إنها مكيةٌ، ونزلت آيةٌ أخرى في نفس الحكم، لكن مناقضةٌ لحكم الآية الأولى، وهي مدنيةٌ، بأيهما نعمل؟ نعمل بالمدنية، وندعي المكية؛ لأن حكمها منسوخٌ.

لعلنا بعد هذا ننتقل إلى أسئلة الإخوة.

{تقول: هل يمكنني أن آخذ بقول ابن عثيمين -رحمه الله؟}.

أنا لا أدري ما هو السؤال الحقيقة.

{تقول: ما هي الطريقة المناسبة لتفسير القرآن للعوام مع العلم أني إمام مسجدٍ؟ وبأي التفاسير تنصحني؟}.

هذه يا أخي قد مرت بي هذه التجربة، ففسرت كثيرًا من القرآن أمام العامة، وكانت طريقتي في ذلك أن أقرأ في زبدة التفسير، وفي تفسير السعدي، وفي مختصر

تفسير ابن كثير، يعني هذه التفاسير الثلاثة كانت بين يدي، أقرأ فيها، وألخص الموضوع، أو كلام المفسرين بعباراتٍ سهلةٍ واضحةٍ يفهمها كل إنسانٍ.

إياك أن تسترسل في ذكر الخلاف بين المفسرين، أو ذكر القضايا التي لا تناسب أفهامهم، كالقراءات، والإعراب، واختلاف العلماء -رحمهم الله تعالى- وأقوال المفسرين، فإن هذا لا يتناسب مع حال من يستمعون إليك، ولكن ركِّز على المعنى الإجمالي، وأيضًا ركِّز على ذكر الهدايات المستنبطة من الآيات، وأيضًا حاول أن تستخرج هدايةً أو عملًا من الأعمال وتقول للجماعة اعملوا به.. مثلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، تقول: يا إخواني، ما رأيكم من اليوم نبدأ في اجتناب الظن، أو كثيرٍ من الظن الذي يقع في قلوبنا مع إخواننا؟ ونطبق هذا في حياتنا، وهلم جرا.

{تقول: ما الفائدة بالنسبة لنا من معرفة السور مدنية أو مكية؟}.

قد بيَّنا ذلك، والشيخ أوضحه في آخر الكلام.

{يقول: جزاكم الله خيرًا، هل يجوز الحكم على الآيات على سبيل الظن؟ يعني الحكم على الآيات بأنها مكيةٌ أو مدنيةٌ؟}.

نقول: إذا لم نجد كلامًا أو روايةً صحيحةً في بيان أنها مكيةٌ أو مدنيةٌ، فإننا نستعير هنا اجتهاد العالم المتمكن لمعرفة هل هي مكيةٌ أو مدنيةٌ، وهذا -ولله الحمد- فيه قدرٌ من الوضوح في كتاب الله -عزَّ وجلَّ- لكن لا نقطع بأن هذه نزلت في مكة، أو المدينة؛ لأن الأمر إنما هو من قبيل الظن والاجتهاد.

{تقول: هل هناك بيت شعرٍ أو جملةٌ نستطيع من خلالها حفظ المدني والمكي؟}.

نعم، أنا لا أحفظ ذلك، لكن هو موجودٌ في منظومات عددٍ من العلماء، نظموا في أبيات السور المدنية والسور المختلف فيها، وما تبقى فهو يعتبر مكيًّا، بل إني أتوقع لو أنها بحثت في بعض محركات البحث، لوجدتَ في ذلك عدد من المنظومات، تقع في خمسة أبياتٍ، عشرة أبياتٍ، بحسب ما تجده.

{يقول: الحكم المدني ينسخ المكي على العموم؟ أم لا؟}.

لا، ما هو على العموم، متى أمكن الجمع بين الدليلين وجب علينا الجمع، متى نلجأ إلى النسخ؟ عندما لا يمكن الجمع بين الآيتين، إما نأخذ بهذه أو نأخذ بهذه، فإذا لم يمكن الجمع لجأنا إلى الحكم بالنسخ، فننسخ المتقدم بالمتأخر، ونجعل المدني قاضيًا على المكي.

مثلًا قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] فالله -عزَّ وجلَّ- ينهاها في السُّكْر إلا في وقت الصلاة، تأتي آيةٌ أخرى، وهي قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، ما فيه مجالٌ، إذًا نعمل بهذه أو بهذه، فهنا لابد أن نحكم بالعمل بأحد الآيتين، وهي الآية المتأخرة.

{يقول: هل تنصحنا بحفظ متن أصول في التفسير؟}.

أنـا أنصـح بفهمـه الحقيقـة؛ لأن الشـيخ لم يكتبـه على أنـه مـتنٌ محـررٌ بألفـاظٍ قليلـةٍ، والـذي يُحفـظ عـادةً إمـا أن يكـون منظومـةً، أو متنًـا محـررًا بألفـاظٍ قليلـةٍ تستوعب معـانيَ كثيرةً، لكـن لـو كـان هنـاك مـتنٌ في هـذا البـاب بهـذا الأسـلوب، لكان مما يُنصح بحفظه.

أسأل الله لي ولكم التوفيق، وإلى لقاءٍ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.